جهود علماء آسيا الوسطى في خدمة اللغة العربية في العصر الإسلامي الوسيط

د. نجيب بن خيرة

١ ـ إقليم المشرق بين التعريب والتفريس

لاشك أن الهجرة العربية التي رافقت الفتح الإسلامي لإقليم المشرق كانت عاملا قويا في استقرار العرب في هذا الإقليم وتمازج العرب الفاتحين مع أهله وساكنيه، فالمعروف أن الفتح الإسلامي لم يكن فتحا عسكريا فحسب إنما كان فتحا بشريا أيضا.

وكانت سياسة مرسومة في العصر الأموي لتوطين العنصر العربي في تلك البلاد. وما كان القرن الأول للهجرة ينتهي حتى انتشر العنصر العربي في إقليم المشرق من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.

"وقد أتيح للعرب في هذه الرقعة الواسعة أن يتصلوا بثقافات وأجناس وديانات.. اتصلوا بالأجناس الآرية حين اتصلوا بالفرس، واتصلوا بالمغول حين اتصلوا بالأتراك، وعرفوا الديانة الزرداشتية في فارس كما عرفوا البوذية في الهند وعند القبائل التركية وطالعتهم هذه الثقافات في إيران والهند.. فكان من ذلك كله أن اتسعت من أمامهم الآفاق في السلطان والعرفان والعلم... وانطلقت لغتهم لتنشر أصواتهم في أوساط هذه اللغات الآرية، ولتتلقى هي أصداء هذه اللغات، فكان من ذلك أن تصافح فصيلة لغوية جديدة لم تكن غريبة عنها في الجاهلية، ولكنها صافحتها آنذاك تابعة أو حليفة، وهي تصافحها هنا سائدة متغلبة.. وكان من ذلك كله هذا المزيج الهائل في الدماء والثقافات، وهذا التجاوب في المذاهب واللغات، ولذلك كله أثره في الحياة الأدبية وفيوضه عليها"(١).

وأول ما يلفت النظر في هذا الأمر انتشار اللغة العربية، واستخدامها لغة أدب وحديث طوال أكثر من قرنين من الزمن، فبعد الفتح واعتناق الفرس للدين الإسلامي، شعروا بأنّهم في حاجة ماسة لتعلم اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم والمتعبد بها في الصلاة، بل ارتبط في أذهانهم بأنها لغة الإسلام الذي اعتنقوه وتعصبوا له، ووجدت اللغة العربية من قلوب الناس وألسنتهم مكانا ساميا أصبحت به لغة الثقافة والعلم والحضارة.

إن التعريب ليس مجرد الانتشار الذي حدث للغة العربية، عندما استبدلت باللغات القديمة في البلاد التي تعربت.. وليس التعريب عطاء فقط من الفاتحين العرب المسلمين. وإنما التعريب يعني ما هو أكثر من ذلك، يعني التفاعل بين الفاتحين العرب المسلمين وفكرهم الجديد وبين المواريث الحضارية الصالحة للاستلهام لدى شعوب البلاد المفتوحة. فهذا التفاعل هو بلورة لمولود حضاري جديد هو الحضارة العربية الإسلامية التي جاءت ثمرة هذا التعريب، الذي هو الميلاد الحقيقي لهذه الحضارة الجديدة.

لقد كان دخول الإسلام يعني تعلم العربية، وفتح المجال للمشاركة في الثقافة العربية، كما فعل الكثير من الموالي، ويقابل ذلك الشعور لدى جماعات من العجم أن دخول الإسلام يعني الانتماء إلى العرب، وتكاد العربية أن تكون مرادفة للإسلام في الفترة الأولى. فلما سأل أبو جعفر المنصور أحد الموالي عن هويته قال: "إن كانت العربية لسانا فقد نطقنا بها، وإن كانت دينا فقد دخلنا فيه".

"وقد كان لسياسة التعريب التي اتخذها الأمويون قبل ذلك والتي رسمها عبد الملك بن مروان، واحتاجت قرابة نصف قرن لتمامها، أثرها البالغ في نشر العربية، شملت هذه السياسة تعريب النقد وإصلاحه، وكان لذلك أثره في استقلال الخلافة اقتصاديا، وفي ارتفاع شأن الدينار العربي ليصبح بعدئذ عملة دولية في الشرق والغرب، ويهم هنا تعريب الدواوين المالية التي كانت تستعمل الفهلوية في المشرق واليونانية في مصر والمغرب لتحل العربية محلها. ويعني تعريب الدواوين إغناء العربية. كما يعني حاجة العاملين في دواوين الدولة لإتقان العربية

أو تعريبهم، لقد أكد هذا مجال العربية لتصبح لغة الثقافة والحضارة بصورة شاملة وللجميع في بلاد الخلافة، وتوسيع نطاق التعريب في المدن"(٢).

كما كان للقيادات العسكرية الأموية دور في ترسيخ العربية ونشرها بين السكان المحليين في خراسان وما وراء النهر، فقد فرض قتيبة بن مسلم الباهلي درهمين لكل من يؤدي صلاة الجمعة بالمسجد الجامع في بخارى(٣). وبالفعل بدأ الناس يقيمون الصلاة، لكن العربية كانت غير مفهومة تماما للجميع، فكُلف شخصٌ بالوقوف وراء المصلين ليصيح حين الركوع (بكنيتا نكينت) وحين السجود (نكونيا نكوني) كي يفهموا ما المطلوب منهم(٤).

وقد أدرك قتيبة بن مسلم أهمية تعلم العربية كي يفهم الإسلام، فأصدر عدة قرارات من شأنها التخلص من الكتب القديمة المكتوبة بالخط الخوارزمي، والتي تحوي أخبارا وقصصا متعلقة بالأديان السابقة. وأتلف عبد الله بن طاهر كتب الفرس القديمة(٥).

كما أن الضرورة العملية فرضت على الكثيرين من الفرس أن يتعلموا العربية حتى يظفروا بنصيب طيب في الحياة الجديدة، كمنصب يتولونه أو علم يتعلمونه ويعلمونه أو حاجة يريدون قضاءها عند ذي سلطان.

وانتشرت العربية بين الناس، واستخدمها العلماء. فهي حديثهم العادي. مع معرفتهم بالفارسية أو غيرها من اللغات الأعجمية، كأبي بكر محمد بن المؤمل بن الحسن الماسرجسي (ت ٣٥٠هـ) الذي قال عنه الحاكم النيسابوري: "صحبته في السفر والحضر فما رأيته يتكلم بالفارسية، إلا مع من يعلم أنه أعجمي لا يحسن العربية"(٦).

وكان بعضهم يحض على تعلمها ويندب لها كأبي سعيد محمد بن يوسف بن يعقوب بن هبيرة الخوارزمي الذي روى بجرجان أن عمر بن الخطاب سمع رجلين يتكلمان بالفارسية فقال لهما: "انتقلا إلى العربية، فمن تكلم بالفارسية ذهبت مروءته" (٧).

ومضى القرنان الأول والثاني للهجرة ولا يكاد يكتب في بلدان المشرق بغير العربية، مما حدا بأحد الباحثين الطاجيك للقول: "إن فترة القرن الثاني للهجرة وما قبلها كانت فترة نشطة بالتيار اللغوي العربي"(٨).

ولا شك أن اللغة العربية حظيت بهذه المنزلة في إقليم المشرق وغيرها من الأمصار الإسلامية لما اتسم به أدبها من قوة وازدهار، وما تحلّى به العرب الفاتحون من تسامح واقتدار. وفي هذا يقول المستشرق الروسي بارتولد:

"ويمكن تفسير رواج اللغة العربية هذا الرواج بأن العرب لم يعتمدوا على قوة السلاح فقط كالجرمان والمغول والإيرانيين القدماء، ولكنهم أنشئوا منذ القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) لغة أدبية متقدمة في ساحة الفكر تقدما واضحا، وأخذت البلاغة والشعر مكانة عظيمة عندهم واخترعت الأشكال الأدبية المعلومة اليوم، والنثر المسجع وأنواع عديدة من الأوزان، واتخذت المنظومات أساليب معروفة، فراج قرض الشعر كثيرا وتنوعت أغراضه..."(٩).

ويمكن القول أن كلا الثقافتين العربية والفارسية التقتا لتفيد كل منهما الأخرى، وتؤثر فيها بشكل أو بآخر. ويلخص جلال الدين همائي أهم مظاهر تأثر الفرس ثقافيا بفتح العرب لبلادهم في النقاط الآتية:

١. التحول من الدين الزرادشتي إلى الدين الإسلامي الذي حقّق السعادة لإيران، وكانت له آثاره الإيجابية التي لا تخفى في العقائد والروحانيات.
٢. تغلغل الكلمات العربية في اللغة الفارسية، وهجران اللغة البهلوية بالتدريج.
٣. ترك الكتابة بالخط البهلوي تدريجيا، والتحول إلى الكتابة بالخط العربي.
٤. تغير أسلوب الشعر الإيراني، وميل الشعراء إلى اتباع العروض والبديع العربيين، واقتباس مضامين الشعر الجاهلي العربي ووصف الخمر والغلمان.
٥. محو علوم الإيرانيين وآدابهم بأيدي الحكام والأمراء العرب إغراقا في الماء أو إحراقا بالنار بحجة الكفر والزندقة وعدم الاحتياج إليها بعد كتاب الله(١٠).

وعلى مطالع القرن الثالث الهجري بدأت الحركات الاستقلالية تتحقق على يد الدول الفارسية في المشرق كالدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وكان طبيعيا أن تعمل هذه الدول على قطع أسباب الاتصال بينها وبين مركز الخلافة العربية في بغداد من الناحية العملية على الأقل ... وأن تزيل في محيطها كل مظاهر الخضوع للخلافة العربية. ومن أهم مظاهر الخضوع والتبعية للدولة العربية استخدام اللغة العربية فهي بلا شك أعظم مظهر من مظاهر السيادة العربية على تلك الأقاليم الفارسية، ولهذا

فإن الدول التي ظهرت في المشرق شجعت اللغة الفارسية حتى حلت محل العربية وأصبحت اللغة الرسمية للبلاد وظهر بها الأدب الفارسي الإسلامي(١١).

وغدا اللسانان (العربي والفارسي) علامة التحضر والثقافة. وأصبحت (الملّمعات) من علائم البراعة في النظم(١٢). وقد كان الفارسي يفخر بمعرفته العربية، ويمدح بإجادته هذه اللغة. من ذلك قول المتنبي يمدح ابن العميد:

عربي لسانه، فلسفي

رأيه، فارسية أعياده

أو قول أبي سعيد الرستمي يفخر بعروبته:

إذا نسبوني كنت من آل رستم

ولكن شعري من لؤي بن غَالبِ

قد بلغت الصلات الثقافية بين العرب والفرس شأوا يتعذر استقصاء أبعاده وتجلياته، و من هذه الأبعاد والتجليات ما يمكن أن نلحمه من خلال النتاج اللغوي والأدبي خلال فترة البحث.

٢ ـ علوم اللغة

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وعلى أساليبهم في الكلام، وعلى نمط نطقهم في حقيقتهم ومجازهم، أدهشت نوابغهم، وأخرست بلغاءهم ، فقهرتهم عبقريته وهم ألوف، عن أن يأتوا بمثل سطر منه أو كلمات أو حروف ...

من هذا المنطلق أساسا حظيت اللغة العربية على مرّ العصور بعناية فائقة، وخصّها أهل اللغة بالتأريخ والجمع والاستنباط ووضع القواعد. كل ذلك بغية المحافظة عليها، وصيانتها من العجمة، واللحن، والتصحيف، والتحريف. خاصة وأن أهلها تمازجوا مع الأمم الأخرى، واختلطوا بها، حتى بدأت اللغة تلتوي بعد سلاستها، وتمرض بعد سلامتها، وطار اللحن (١٣). في جنباتها، وخيفت عليها عاقبة الفساد والشَوْبَ. فتقدم الأكفاء من أبنائها يذودون عن حياضها، ويدفعون أسباب العجز عن سليقتها، وتوافقت الهمة الإنسانية مع قدرة هذه اللغة على النماء وبقائها على شباب الدهر مهما خالط أهلها من رقة الطبع، ورخاوة العيش. وعلل الحضارة وأسبابها.

وقد بدا ذلك وتجلى على ألسنة أبناء النازلة من العرب في البلاد المفتوحة، الذين لم ينشأوا في البادية مثل آبائهم ولا تغذّوا من ينابيعها الفصيحة. إنما نشأوا في الحاضرة واختلطوا بالأعاجم اختلاطا أدخل الضيم والوهن على ألسنتهم وفصاحتهم. على نحو ما هو معروف عن الوليد بن عبد الملك وكثرة ما كان يجري على لسانه من اللحن(١٤). وكان كثيرون من أبناء العرب ولدوا لأمهات أجنبيات أو أعجميات. فكانوا يتأثرون بهن في نطقهن لبعض الحروف وفي تعبيرهن ببعض الأساليب الأعجمية (١٥). وكل ذلك جعل الحاجة تمسُّ في وضوح إلى وضع رسوم يُعرف بها الصواب من الخطأ في الكلام خشية دخول اللحن وشيوعه في تلاوة آيات الذكر الحكيم(١٦).

وقد حرص الموالي ـ وخاصة موالي العراق ـ على وضع علم يسهل عليهم تعلم اللغة العربية لدينهم ودنياهم فوضعوا علم النحو. وكان طبيعيا أن ينشأ ذلك في العراق لا في الحجاز ولا في الشام، لأن الحجاز لم يكن في حاجة إلى قواعد يقيم بها لسانه، لأن موالي العراق أكثر رغبة من موالي الشام، لما علمت من أن رغبة الفرس في العربية كانت أكثر من رغبة سواهم، ولأن الآداب السريانية كانت في العراق قبل الإسلام، وكان لها قواعد نحوية. فكان من السهل أن توضع قواعد عربية على نمط القواعد السريانية، خصوصا واللغتان من أصل سامي واحد، لهذا كان السابقون إلى وضع النحو هم البصريون أولا ثم الكوفيون، وفاق البصريون لقربهم من بادية العرب وبُعد الكوفيين عن البادية الفصيحة(١٧).

ومن الإنصاف أن نذكر أنّ كلا من مدرستي البصرة والكوفة شاركتا في بناء النحو الشاهق، وساهمتا في نشأة وتطور علوم اللغة والنحو، فألفوا فيها التآليف الكثيرة، ثم أُخذت عنهم ونُقلت ونشرت في كافة أنحاء البلاد الإسلامية(١٨).

ومن بين هذه البلاد إقليم المشرق الذي هجر أهله لغتهم في الفترات الأولى لإسلامهم. وراحوا يحذقون علوم العربية درسا وفهما ؛ لأن فهم الشريعة يقتضي معرفة لغة العرب. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "وعلوم اللسان العربي أركانه أربعة: وهي اللغة، والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة؛ إذْ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغتهم، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة"(١٩).

كل ذلك كان حافزا للاهتمام بعلوم اللغة العربية من نحو وبلاغة وعروض ولظهور عدد من اللغويين في حواضر

خراسان وما وراء النهر خلال فترة البحث:

فنجد أن نيسابور حلت منذ بداية القرن الثالث الهجري محل مرو وبلخ كحاضرة لإقليم خراسان "فعمرت وكبرت وغزرت وعظمت حتى انتابها الكتاب والأدباء بمقامهم بها، وطرأ إليها العلماء والفقهاء عند إيثارهم لها"(٢٠).

وعلى هذا فقد برزت جمهرة كبيرة ممن شُهد لهم بالسبق والتقدم في علوم اللغة (٢١). منهم:

- أبو عبد الرحمن بن محمد بن هاني النيسابوري (ت ٢٣٦هـ). كان من أفاضل الأدباء والنحويين(٢٢) له كتاب كبير يوفي على ألفي ورقة في نوادر العرب وغرائب ألفاظها، وفي المعاني والأمثال، وكان هذا الكتاب من المصادر التي اعتمدها شمر بن حمدويه الهروي فيما صنفه من الكتب في هذا الاختصاص، قال الأزهري: "وكان شمر سمع منه بعض هذا الكتاب وفرقها في كتبه التي صنفها بخطه" ولم ينس الأزهري فضله في تصنيف كتابه الذائع الصيت "تهذيب اللغة" فقال: "وحمل إلينا منه أجزاء مجلدة بسواد بخط مُتْقنٍ مضبوط،مما وقع في كتابي لابن هانيٍ فهو من هذه الجهة"(٢٣).
- وأبو محمد عبد الله بن مخلد بن خالد التميمي النيسابوري النحوي (ت ٢٦٠هـ). ذكره الحافظ أبو عبد الله في تاريخ نيسابور، وسماه النحوي. سمع بخراسان علي بن الحسين بن شفيق، وعبدان، وسمع بالبصرة عفان وبشر بن محمد السكري، ومسلم وغيرهم.. وبالكوفة أبا نعيم، وأبا غسان، وبالحجاز عبد العزيز. وروى بخراسان كتب أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي(٢٤).
- وأبو الفضل نصار بن إبراهيم النيسابوري (ت ٢٧٧هـ) المشهور بالأدب والنحو، من أخص الناس بأمير خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر، والسبب في قربه منه مدح الحسين بن الفضل إياه في مجلسه(٢٥).
- وأبو تراب محمد بن الفرج بن الوليد الشعراني اللغوي، صنّف كتاب "الاعتقاب"رحل إلى هراة وأملى بها أجزاء من كتابه. ثم عاد إلى نيسابور وأملى بها باقي الكتاب. وقد أعجب الأزهري بكتاب "الاعتقاب" هذا وأثنى عليه بقوله: "وقد قرأت كتابه فاستحسنته، ولم أره مُجازفا فيما أودعه ولا مصحّفا في الذي ألفه"(٢٦).
- وأحمد بن محمد بن مروان السرخسي عالما موسوعيا في الطب والفلسفة والجغرافية والتاريخ، والفلك كما سنرى فيما بعد، ثم كان أيضا كما وصفه ابن أبي أصيبعة "أوحد في علم النحو والشعر" ومن مؤلفاته كتاب: "بعض الفرق بين نحو العرب والمنطق"(٢٧).
- وفي أيام الدولة الغزنوية في خراسان ظهر أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ). حذق صناعة اللغة وأحاط بأصولها وفروعها، ووقف على شاذها ومقيسها. فكان أديبا بليغا على أسلوب أهل زمانه في السجع والاستعارة والتشبيه، واسع العلم باللغة والأدب والأدباء وتاريخهم. وألف في ذلك كله. صاحب كتاب "فقه اللغة وسرّ العربية"، أراد فيه أن يجعله معجما على نمط جديد، وهو جمع الكلمات في الموضوع الواحد في موضوع واحد. يبلغ ثلاثين بابا. ضمت من الفصول ما يناهز الستمائة.

وقد اعتمد الثعالبي في تصنيف كتابه هذا. على عدد كبير من العلماء، ونص على ذلك في مقدمته فقال: "وتركت الأدب والكتب، أنتقي منها وأنتخب، وأفصل وأبوب، وأنتفع من الأئمة، مثل: الخليل، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني، والكسائي، والفراء، وأبي زيد، وأبي عبيدة، وأبي عبيد، وابن الأعرابي، والنّضر بن شميل، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ومحمد، وابن يزيد المبرد، وابن دريد، ونفطويه، وابن خالويه، والخارزنجي، والأزهري، ومن سواهم من ظرفاء الأدباء"(٢٨).

ويعد كتاب "العين" للخليل بن أحمد من أهم المعاجم اللغوية وأوائلها التي نالت حظوة العلماء واهتمامهم. فاستكملوه، واستدركوا عليه، وأسهم في ذلك بعض علماء خراسان نذكر منهم أبو حامد أحمد بن محمد البشتي الخارزنجي (ت ٣٤٨هـ). الذي صنف كتاب "تكملة كتاب العين" وقد نقل عن هذا الكتاب عدد من العلماء مثل: الميداني في "مجمع الأمثال"، والصاحب بن عباد في "المحيط"(٢٩).

وفي مرو برز في علوم اللغة، أبو العباس جعفر بن أحمد المروزي (ت قبل سنة٢٧٤هـ). كان أحد المؤلفين في سائر العلوم غير أن كتبه عزيزة جدّا على حد قول ابن النديم. ففي علوم العربية، صنّف: كتاب "الآداب الكبير"، وكتاب "الآداب الصغير"، وكتاب "البلاغة

والخطابة"(٣٠).

أما بلخ، فقد كان لعلمائها عناية بالعلوم اللغوية والنحوية، ولهم جهود عظيمة في خدمتها. فألفوا التصانيف وأضافوا فيها إضافات جديدة لم تكن تعرف من قبل. وعلى هذا برزت جمهرة كبيرة من العلماء في فروع اللغة وآدابها. ويكفي أن نذكر منهم:

- أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط توفي سنة (٢٢٥هـ). كان أعلم الناس بالكلام وأحذقهم، وهو معظّم عند البصريين والكوفيين، أخذ النحو عن سيبويه، وكان غلام ابن شمّر الهروي وعى مذهبه، ولم يأخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي وتكلم على كتاب سيبويه وشرحه وبيّنه. قال الكسائي: "لم يكن في القوم أعلم من الأخفش نبههم على عوار الكتاب وتركهم (يعني كتاب سيبويه)".

ويفهم من سؤال الجاحظ لأبي الحسن البلخي أن مؤلفاته كانت من العمق والاتساع في المعنى والفكرة ليس من السهل فهمها وإدراكها، بل تحتاج إلى طول أناة وعقل يرتقي إلى أسلوبها، وفي الوقت ذاته تنم عن تبحر صاحبها في هذه العلوم، وسبر أغوارها. قال الجاحظ: "قلت لأبي الحسن الأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو فَلِمَ لا تجعل كتبك مفهومة كلها وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها، وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم"(٣١).

صنّف الأخفش الأوسط كتبا كثيرة منها: "كتاب في المعاني القرآن"، وكتاب "الأوسط في النحو"، وله كتاب في العروض زاد فيه بحر الخبب على الخليل، وكتاب "المقاييس في النحو"، وكتاب "الاشتقاق"، وكتاب "الأصوات"، وكتاب "الملوك"، وكتاب "معاني الشعر"، وكتاب "وقف التمام"، وكتاب "صفات الغنم وألوانها وعلاجها"، وكتاب "القوافي"، وكتاب "المسائل الكبير"(٣٢). ونذكر أيضا:

- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، وهو من أهل فرياب، رحل إلى بغداد في شبابه، فتعلم على يد أبي علي الفارسي، وعن خاله أبي يعقوب الفارابي، صاحب "ديوان الأدب". وطوّف ببلاد ربيعة ومضر. ليأخذ اللغة مشافهة ثم قفل راجعا إلى بلاده، وتوفي سنة (٣٩٨هـ) (٣٣). وكتابه "اللغة والصحاح العربية" المعروف بالصحاح، لقي شهرة واسعة، وزادت المصنّفات التي قامت بتهذيبه أو الاستدراك عليه أو اختصاره، أو نقده، أو الانتصار له على أربعين مصنّفا، من أشهرها: مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الذي لا تكاد تخلو منه مكتبة من المكتبات(٣٤).

وبالنظر للصلات الفكرية والثقافية بين إقليم المشرق وإقليم المغرب والأندلس، فإن كتاب "الصحاح" لشهرته وغزارة مادته رحل إلى الأندلس في القرن السادس الهجري على يد أبي العباس الحضرمي ورفيقه أبي بكر الكناني، وعني به الأندلسيون عناية فائقة، وأقبلوا على دراسته ونقده وكتابة الحواشي عليه

ومن مصنّفات الجوهري أيضا كتاب"غريب الحديث"، وكتاب "السلاح"، وكتاب"الجبال والأودية"(٣٥). وقد برع الجوهري أيضا في علم الخط. وخطه يضرب به المثل في الحسن ويذكر في الخطوط المنسوبة لخط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي، وكان يعلم الخط الأنيق وكتابة المصاحف بنيسابور.

- وكذلك أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، فقد رحل إلى العراق أيضا وأخذ عن أئمة علمائه كابن دريد، وطاف في أرض العرب يجمع اللغة منهم، فوقع أسيرا في يد القرامطة. قال: "وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلى إعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ، ويرعون ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدوية، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في أسرهم دهرا طويلا ... واستفدت من مجاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضا ألفاظا جمة ونوادر كثيرة أودعت أكثرها في كتابي".

ويقصد بكتابه كتاب "تهذيب اللغة" في عشر مجلدات، وهو من الكتب التي فرّغها ابن منظور في كتابه لسان العرب، وقال في مقدمته: "ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، ولا أكمل من المحكم لابن سيّده، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيّات للطريق"(٣٦).

- أما في مدينة بخارى فقد اهتم أمراؤها على أيام الدولة السامانية بعلوم اللغة، وعقدوا المجالس لمدارسة المسائل اللغوية والنحوية. ويذكر أنه كان للأمير نوح بن نصر الساماني مراسلات مع العالم اللغوي النحوي أبي سعيد السيرافي

يسأله فيها عن أمور تختص بعلم اللغة والنحو والأدب(٣٧).

وقد بلغ اهتمام الأمراء السامانيين باللغة العربية إلى درجة أنّهم اشترطوا في عمّال الدواوين من ديوان الإنشاء إلى ضبط الأمور المالية وتدبير حسابات الدولة من واردات ومصروفات ومتابعة الأمور المالية والقضاء أن يكونوا ممن يتقنون لغة العرب قراءة وفهما وتذوقا. فتنافس الناس على أيامهم في تعلم اللغة العربية سعيا وراء الوظائف الإدارية وطلب الرزق. وما إن تعلموها حتى انبهروا بعظمة الآداب العربية وسحرها فأقبلوا يتعلمونها لذاتها حتى أبدعوا فيها وبرزت فيها ملكتهم اللغوية والأدبية.

وظهرت التآليف الكثيرة باللغة العربية، فوضع النرشخي كتابا في أوضاع بخارى وأحوالها وما تضمه هذه المدينة من مرافق ومنشآت.

"وكان تأليف هذا الكتاب باللغة العربية وبعبارات بليغة في شهور سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة"(٣٨).

وألف البخاري كتبه باللغة العربية وأهمها كتابه "الصحيح"، وكتاب "التاريخ"، وكتاب "الضعفاء"، وكتاب "التاريخ الصغير"، وكتاب "القراءة خلف الإمام"، وغيرها.

وفي الجغرافيا ألف الجيهاني كتابه "المسالك والممالك" باللغة العربية، يضاف إلى هذا ما كتب باللغة العربية في العلوم الأخرى من طب وهندسة ورياضيات، كل هذا يدل على عناية فائقة بالعربية وعلومها، ويرتكز كل ذلك على علم النحو.

وقد ازدهرت دراسة النحو في بخارى إلى درجة أنّ كتاب سيبويه كان يدرس للصبيان وهم في سن مبكرة(٣٩).

وكان لعلماء بخارى مناقشات نحوية مهمة، منها الخلاف على تشكيل كلمة (محمد) رسول الله عند ذبح الأضحية. وقد قرر أحد نحاة بخارى أنه إذا قيل: (بسم الله ومحمد رسول الله). بضم الدال والتنوين، صحت الأضحية، ولو قيل: (بسم الله ومحمدًا رسول الله) بفتح الدال، أو قيل (بسم الله ومحمد رسول الله) بكسر الدال، فهي ميتة؛ لأنه إذا قيل (محمد) بالضم ابتداء وليس إضافة، فلم يحرم القائل، أما إذا قال: (محمداً) بالفتح أو (محمدٍ) بالكسر، فهي إضافة ويصير وكأنه يقول: (بسم الله واسم محمد) (٤٠).

ومن العلماء الذين برزوا في علم النحو ببخارى نذكر:

- أبا نصر إسحاق بن أحمد الصفار البخاري. الذي قال عنه الحاكم: "ما رأيت ببخارى مثله في حفظ الأدب والفقه"، وقال عنه ياقوت: "كان أحد أفراد الزمان في علم العربية والمعرفة بدقائقها الخفية، فقيها.. وكان حسن الشعر..."(٤١).

له تصانيف مهمة في النحو منها: كتاب "المدخل إلى سيبويه"، وكتاب "المدخل الصغير في النحو"، وكتاب "الرد على حمزة في حدوث التصحيف"(٤٢).

- وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي كان "من الأعيان في علم اللغة والنحو، ورد بخارى فأُجِلَّ وبُجِّلَ، ودرس عليه أبناء الرؤساء والكتاب بها، وأخذوا عنه، وولي التصفح بديوان الرسائل"(٤٣).

- وأبو محمد إسماعيل بن محمد الدهان الذي "أنفق ماله على الأدب فتقدم فيه، وبرع في علم اللغة والنحو والعروض، ودرس على الجوهري واستكثر منه، وحصل على كتاب الصحاح في اللغة بخطه واختص بالأمير أبي الفضل الميكالي"(٤٤).

وبعد هذا العرض يمكننا أن نتصور أن علوم اللغة العربية. قد بهرت المجتمع في خراسان وبلاد ما وراء النهر. فرحلوا إلى طلبها من الأقطار وخاصة في العراق (البصرة و الكوفة وبغداد). ولما آنسوا من أنفسهم عادوا إلى بلادهم معلّمين ومبشرين بالحرف العربي، يستنفرون الناس لتعلم لغة القرآن والتفوق فيها، ويرغبونهم في تذوقها وفهم أسرارها.

وعلى هذا تزامنت النهضة العلمية في مجال علوم اللغة مع النهضة العلمية في مجال الدراسات القرآنية.

ويبدو أن ثمة علاقة بين ازدهار علوم العربية والوضع السياسي العام في إقليم المشرق في هذه الفترة. والمتمثل في بروز الحركات الشعوبية التي تهدف إلى إحياء التراث الفارسي القديم. ومزاحمة التراث الإسلامي.. الذي تنظر إليه هذه الحركات على أنه فكر دخيل، وطارئ. ينبغي مضايقته والقضاء عليه. وقد لاقت هذه الحملات الشعوبية، حركة مواجهة صامدة من كلا العنصرين العربي والفارسي الذين تجمعهما أخوة الإسلام ولغة القرآن. فالتعصب للعرق لا يعرفه الأنقياء، وسمة الإنسانية العامة الشائعة في الكتاب والسنة جعلت الفاتحين عسكريا يذوبون في البلاد المفتوحة. وصار الكل عربا مسلمين. لا فرق بين أصيل ودخيل.

والمهم أن هذه النزعات على وضاعتها

لم تلق في الجو الإسلامي النظيف ما يعينها على البقاء والاستفحال ... ومضت الجماهير تخدم الإسلام بإخلاص وحماسة، شاعرة بأن الصياحين بأنسابهم استوعروا طريق الكدح والبذل.. وأرادوا ستر تخلفهم ورفع خسيستهم بإحياء النزعات العنصرية، والنعرات القبلية. التي لا يقرها دين الله كتابا وسنة. وقدمت لنا الأمة المسلمة نماذج من العلماء (عربا وفرسا وتركا).. من النحاة والبلغاء والعروضيين. الذين أسهموا بتآليف نافعة، لا تزال إلى اليوم تمثل ثروة لغوية. ظلت النُكأة والأساس لتراثنا الأدبي على مرّ التاريخ.

٣ ـ الأدب وفنونه

الأدب روح في الجسم، ودم في العروق يكوّن شخصية الفرد مستقلا بنفسه، ويبرز شخصية الأمة فيحيا متميّزا بأفرادها. ويتفاعل مع أحداثها، ويشخّص آمالها وآلامها، ويعطي الصورة الحقيقية للمستوى الفكري والثقافي الذي تعيشه وتنهض به.

وفي عصر الدويلات الإسلامية في إقليم المشرق، ازدهر الأدب بنوعيه الشعر والنثر. وظلت بلاطات الأمراء في مرو، ونيسابور، وبخارى، وغزنة، ينفسون على بغداد مكانتها، ويأتمون بنهجها في رعاية الأدب، ويسترشدون بمساعي خلفائها في جلب الأدباء، وتعضيد العلماء، وتشييد المدارس، وإنشاء المكاتب، وتجهيز المكتبات، وكسب رضى كل أديب لامع مهما كان أصله وعرقه وأرومته.

ويضاف إلى ذلك ظهور طبقة من الموسرين ذواقة ومتمكنة في الوقت نفسه. احتضنوا الشعراء والأدباء للاستمتاع بجلساتهم الأدبية والشعرية في صالوناتهم الخاصة. وقد يكون ذلك بسبب من الانسجام مع بعض أغراض الشعر وبخاصة شعر المديح. ويفهم من ذلك أيضا أن العلم لا تورق أفنانه ولا تينع ثماره إلا في ظل الملوك والأمراء وأصحاب الجاه والسلطان.

إلا أنه يصعب علينا تتبع مراحل وأوجه الازدهار بالتفصيل. ولذا فإن حديثنا سيقتصر على إبراز أهم الظواهر الأدبية في الشعر والنثر، مع مراعاة الإنتاج الأدبي عند كل من العرب والفرس، محاولين الاقتضاب في الكلام. مع شرح المعالم الواضحة في عصر التألق الأدبي، مشيرين إلى أبرز شعراء المنطقة اللامعين، وأهم الأدباء المنتجين، مع الإشارة ضمنا إلى أغراض وخصائص الشعر والنثر. الجارية في زمانهم.

١ ـ ٣ ـ ١ ـ الشعر العربي

من الواضح أن العرب لم ينكفئوا على أنفسهم في البلاد الجديدة. بل اختلطوا بسكانها الأصليين، فساكنوهم، واتصلوا بهم، وتزوجوا منهم بما تفرضه طبيعة العرب الاجتماعية وما تميله طبائع الاجتماع الإنساني.

وهناك إشارات تفيد أن العرب تطبعوا إلى حدّ ما بطباع أهل خراسان وقلدوهم في أكثر من جانب من جوانب حياتهم. فانطبعت نفوسهم بمظاهر الحياة في البيئة الجديدة، وراحوا ينظمون الشعر الرائق، البديع الذي يمتاز بجمال الصياغة وروعة النسيج. على نحو ما كان في شبه الجزيرة والعراق. وظهرت كوكبة من الشعراء الفحول في إقليم خراسان خلال القرن الأول الهجري. "كزياد بن الأعجم، والمغيرة بن حبناء، وثابت قطنة، وكعب الأشقري، وأبي الهندي، والشمردل بن شريك"(٤٥).

أما مع مطالع القرن الثالث الهجري ـ أي: في عصر الدويلات المستقلة ـ فقد كانت خراسان وما وراء النهر مركزا من مراكز الإشعاع الفكري والأدبي ومنتجعا من منتجعات الشعر والشعراء. قدموا إليها من أغلب البلاد المجاورة ومُنحوا الأموال الطائلة وحظوا بالمعاملة الكريمة التي عومل بها الشعراء في باقي الدويلات الإسلامية الأخرى، وحقّا فقد استطاع أمراء الدويلات المستقلة أن يجعلوا من حواضرهم ساحة نضال أدبي، وحلبة مبارزة شعرية. شاركت في إخراجها العديد من الألسن الشعرية البارزة واللامعة في هذا العصر. ولعل كتب السلف وبوجه خاص كتاب "يتيمة الدهر" للثعالبي. دليلنا الملموس إلى بلوغ الشعر في خراسان وما وراء النهر شأوا مديدا، ومراماً بعيداً.

فالدولة الطاهرية برع أمراؤها في الشعر والنثر والبلاغة، واهتموا بالأدب والثقافة العربية. فكان طاهر بن الحسين أديبا شاعرا لا ينفق على شيء من مُتع الدنيا كما ينفق على الأدب. مترسلا بليغا. فمن شعره قوله بعد انتصاره على الأمين مفتخرا:

ملكت الناس قسرا واقتداراً
وقتلت الجبابرة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مرو
إلى المأمون تبتدر ابتدارا (٤٦).

ولما انتقل الحكم إلى الدولة السامانية

فإن الشعر سار في شريان الحياة، ودبت فيه روح التطور والتقدم. وشاعت في جوانبه وبين مضامينه وأشكاله أضواء من النشاط والحركة. وكان لوزراء هذه الدولة بوجه خاص يدٌ لا تُجحد، وجهد لا يُغمط، وفضل غير منكور..

فمكانة الوزراء السامانيين في الشعر كانت تفوق مكانة الأمراء. وهي ظاهرة أدبية تجذب النظر إليها. ويبدو أن ذلك راجع إلى حسن اختيار السامانيين لوزرائهم من بين الكتاب الأدباء. المتقنين للغة العربية. العارفين بآدابها وبلاغتها. وكان لإدراك هؤلاء الوزراء أهمية الشعر في تثبيت حكمهم، وذكر مآثرهم، وتعداد فضائلهم. أثره في جذب الشعراء إليهم، وتقريبهم منهم، ليرفعوا قدرهم عند الأمراء والرعية على حد سواء.

"وقد جرى الشعراء في هذا العصر على أساليب من سبقهم من شعراء العراق وفارس في إكثارهم من المقطوعات في المناسبات، والتفنن في التخيل والإغراق في المبالغة والإمعان في التشبيه"(٤٧).

وظهر في عهد السامانيين عدد من شعراء العربية زخر بهم البلاط. وازدانت بهم مجالس الأمراء. وقد أفرد لهم الثعالبي جزءا في كتابه "يتيمة الدهر"(٤٨).

ولا شك أن شعراء العربية حظوا بتشجيع السامانيين ورعايتهم كما حظي بها شعراء الفارسية على حدٍّ سواء ... وكانت بيئة المدن السامانية وما تجاذبها من تيارات فكرية وعلمية ومذهبية متعددة قد جعلت الشعراء يتجهون اتجاهات مختلفة كل حسب نشأته واعتقاده وميوله(٤٩).

ونكتفي بذكرٍ مُوجزٍ عن بعض هؤلاء الشعراء ونبدأ بـ:

- أبي الحسن علي بن الحسن اللحام، وصفه الثعالبي وصفا عجيبا فقال: "من شياطين الإنس، ورياحين الأُنس، وقع إلى بخارى في أيام الحميد، وبقي بها إلى آخر أيام السديد، يطير ويقع، ويتصرف ويتعطل، ويهجو وقلما يمدح، وكان غزير الحفظ، حسن المحاضرة، حاد البوادر، سائر الذكر، ساحر الشعر، خبيث اللسان، كثير الملح والغرر، راميا من فيه بالنكت، لا يسلم أحد من الكبراء والوزراء والرؤساء من هجائه إياه، وكان لا يهجو إلا الصدور"(٥٠).

وقد تقلّد الشاعر بعض الأعمال العامة مثل بريد ترمذ مكافأة له على مدائحه للمسئولين، ولكن الشاعر لم يكتف بالمدح وحده ليحقق أهدافه فاستخدم الهجاء كذلك، ويبدو من تاريخه وأشعاره أن الهجاء هو الفن الذي يعبر عن طبيعة الشاعر، وأن مدحه كان وسيلة للنوال. وقد غلب على الشاعر الفن الذي يتفق مع طبيعته، ولهذا يعتبر هذا الشاعر من الهجائين رغم ما ورد له من المدائح القليلة، ويدل على هذا أنه كان يمدح الشخص ثم يهجوه كما فعل مع أبي جعفر العتبي الذي مدحه ثم هجاه ،ولم يكن له مبدأ ثابت ولا خلق.

ولم يكن الهجاء عند اللحام أسلوبا رفيعا في هذا الفن، فقد غلبت عليه الشتائم والإسفاف وبسبب أهاجيه عاش فقيرا، ولو اكتفى بالمدح وحده لعاش في نعمة سابغة، ولكن الهجاء كان طبعه الذي لا يستطيع الفكاك منه(٥١).

ومما يستملح من أهاجيه في أبي جعفر العتبي قوله:

تغيرت أخلاق هذا العتبي
وصار لا يعرف غير العتب
وغير ضرب دائم وسب
وقد حشا فصار مثل الدُبّ
عليه ألف لعنة من ربي(٥٢).

ومن شعراء العربية في بخارى نطالع أبو محمد المطراني.. وهو شاعر مُجيد اجتذبته بخارى إليها فيمن اجتذبت من الأدباء والشعراء، وكان المطراني قبيح الشكل، زري الهيئة إلا أنه كان فصيحا في حديثه، مؤنسا في مجلسه، محسنا في نثره وشعره. وكان إذا تكلم حاكى فصحاء العرب إلا أن لكنة في لسانه كانت تنم عن أصله الأعجمي.

كان هو واللحام من شعراء زمن واحد ومن المتنافسين في بلاط واحد، ومن ثم كان الهجاء بينهما متصل لا ينقطع.

وبلغ من جودة شعر ابن مطران وذيوعه أن حُمل ديوانه إلى الصاحب ابن عباد فأعجب به وقال: "ما ظننت أن ما وراء النهر يخرج مثله"(٥٣).

وقد سار بعض الشعراء في تيار المجون، ووصف الخمر، مسايرة لموجة المجون التي عصفت بالعراق وإقليم المشرق جميعا، إذ ظل كثير من الناس يُمعنون في شرب الخمر، واحتساء كؤوسها، مدمنين عليها لا يرعوون ولا يزدجرون. ومعروف أن القرآن الكريم حرّم الخمر، وما كان محرّما بنصه لا يحل منه قليل ولا كثير، أما النبيذ فمسكره محرم أيضا بالقياس، غير أن اجتهاد بعض فقهاء العراق من الحنفية أداهم إلى تحليل بعض الأنبذة غير المسكرة كنبيذ التمر والعسل والتّين والبُرّ وكالزبيب المطبوخ فشرب الناس هذه

الأنبذة وشربها الخلفاء، كما تغنى بشربها الشعراء.

ومن ذلك قول أبي الفتح البستي:

عليك بمطبوخ النبيذ فإنّه
حلال إذا لم يخطف العقل والفهم
ودَعْ قول من قد قال إن قليله
معين على الإسكار فاستويا الحكما (٥٤).

وكان من الشائع بين شعراء العربية في إقليم المشرق نقل المعاني من الفارسية إلى العربية واقتباس المعاني من الشعر العربي، ومن أمثلة هذا قول أبي القاسم بن أحمد الشجري:

إن شئت تعلم في الآداب منزلتي
وأنني قد عداني العزّ والنعم
فالطرف والسيف والأوهاق تشهد لي
والعود والنرد والشطرنج والقلم

ويقول الثعالبي أن هذين البيتين منقولان عن بيتين بالفارسية للأعاجم(٥٥).

وظهر تيار معاكس لهذا الاتجاه وهو التيار الإسلامي المتمثل بالتبتُّل إلى الله والزهد والمدائح النبوية. وقد أتى أصحاب هذا التيار في شعرهم بغرر المعاني، وروائع الخيال، وبدائع الصور، وجميل التشبيهات، ولطيف المجازات.

كقول أبي العباس المأموني:

إله الخلق معبودي
وفي الحاجات مقصودي
ودين الكفر مـــردودي
وعصمة خالقي وزري (٥٦).

ولا يمكن أن نختم الحديث عن شعراء العربية في خراسان وما وراء النهر دون أن نتحدث عن أبي الفتح علي بن محمد الكاتب البستي المتوفى سنة (٤٠٠هـ). كان أحد الفضلاء الأدباء في بلده. يقول الثعالبي بحقه: "رأيته يغرف في الأدب من البحر، وكأنما يوحى إليه في النظم والنثر، مع ضربه في سائر العلوم بالسهم الفائز، وأخذه منها بالخط الوافر ..." (٥٧).

زار أبو الفتح نيسابور مرارا بعد تسلم محمود بن سبكتكين الغزنوي أمر نيسابور، وجمعت المودة بينه وبين نظرائه من العلماء والأدباء فيها، وأحاطه الخاصة بالمحبة والرعاية. حتى أن فقيه نيسابور أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي وابنه إمام أهل الحديث فيها كانا شديدي الإعجاب بأبي الفتح، فإمام أهل الحديث يحفظ شعر أبي الفتح ويردده في مجالسه، وهو القائل: "ما كنت أعرف لرقص الصوفية سببا حتى سمعت قول أبي الفتح:

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله
وليس له ذكر إذْ لم يكن له نَسْلُ
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي
فإن لم يكن نسل فإنا بذا نَسْلُوا "(٥٨).

وقد برع أبو الفتح بنظم الشعر وكتابة النثر. وقد قال لصديقه أبي منصور الثعالبي ما أحوج الأمير محمود بن سبكتكين إلى كاتب، ويقصد نفسه ،فقال:

كتب الأمير كتائبا في المعركة
والرأي منه طبيب داء المملكة
إذا رمى بالظن أمرا مشكلا
أضحت ستور الغيب عني مهتكة

ومن خلال تعداد الظواهر الأدبية وأهم أعلام الشعر العربي في إقليم المشرق، يمكن أن نسجل الملاحظات التالية:

١ ـ أن أغلب الشعر العربي الذي ظهر في إقليم المشرق تعددت أغراضه على غرار أغراض الشعر العربي القديمة ؛من مديح، وهجاء، وغزل، ووصف، وغيرها ....

٢ ـ حظي الشعر العربي برعاية كبيرة من قبل الأمراء والوزراء. بالرغم من الأصل الفارسي لهم لأنهم اعتبروا نصرة العربية من نصرة الدين الذي اعتنقوه وتمسكوا به. بالإضافة إلى أنهم اعتبروا أن تقريب الشعراء والأدباء وإجزال العطايا والمنح لهم، يشيد بذكرهم، ويرفع من قدرهم، ويسجل مآثرهم.

٣ ـ أجواء الحرية الفكرية التي عاشها الشعراء في ظل حكام كل من الدولتين الطاهرية والسامانية، فرغم تطاول الشعراء على الأمير نفسه، وأهل بيته، ورجال دولته فإن أحدا لم يمسهم بسوء، وقد رأينا فيما مرّ كيف أن الأمير السعيد نصر بن أحمد لم يزد على أن عاتب الشاعر أبي الطيب الطاهري عتابا رقيقا وهو الذي ولغ في أعراضهم، وسلقهم بلسان حادٍ قاطع لا يرحم.

٤ ـ لم يترك شعراء خراسان وما وراء النهر بابا إلا طرقوه. وخاصة غرض المديح، وذلك لما كان من المنافسة بين الشعراء، لإرضاء الأمراء والوزراء والتقرب منهم، والنيل من أعطياتهم.

٥ ـ رأينا أن الشعراء يحاكون الأسلوب العربي القديم في نظم القصيدة، إذْ يستهلونها بموضوع كالنسيب أو الشكوى أو الوصف قبل الانتقال إلى الموضوع الأساسي للقصيدة. ومن أمثلة ذلك قصيدة المطراني التي أوردناها فيما سبق، فإنه بدأها بذكر

المشيب وما اعتراه من ضعف الصحة والتحسر على الشباب قبل المدح الذي هو موضوع القصيدة. ولا شك في أن هذه المقدمة كانت تهدف إلى غرض في نفس الشاعر(٥٩).

٦ ـ تميز الشعر في هذه الفترة بالعفوية حيث يخرج عند الشعراء في سهولة وانتظام لا استكراه في قوافيه ولا تكلف في معانيه. ولا شك أن عفوية الشاعر وقوة طبعه هما العنصران الأساسيان اللذان يبلغان بالشعر مستوى فنيا بديعا.

٧ ـ كما تميز بكثرة المقطوعات الصغيرة، وربما كان الدافع إلى ذلك هو أن الحياة الصاخبة في خراسان وما وراء النهر، وحالة الطوارئ التي تعيشها المنطقة من غزو وفتح وجهاد.. جعل الشعراء يقصرون نظمهم على المقطوعات دون القصائد المطولة. التي كان ينظمها شعراء العرب في بيئتهم الأولى.

٨ ـ من الموضوعات الشائعة في هذا الشعر الإباحية والمجانة والفسوق ،ولم يكن في أغلبه مهذبا رقيقا ؛ إذ انتشر فيه ذكر العورات والتعبير عن الأغراض الشعرية الجنسية بتعبير حسي داعر، وقلما رأينا شاعرا سلم شعره من ذلك. وإلى جانب الغزل الطبيعي بالمرأة انتشر الغزل بالذكور أيضا وهو أمر مألوف في تلك الأشعار. وفي "يتيمة الدهر" للثعالبي أنماط فاحشة من هذا الغزل يعف عن تسطيرها القلم.

ولعل شيوع هذا الانحلال الخلقي أمر طبيعي في بيئة كبيئة بخارى (عاصمة السامانيين)، فهي أولا بيئة نهرية تحف بها المياه والأنهار من كل جانب، ومن طبيعة البلاد التي تقع على الشواطئ أن تكون أكثر تعرضا لدواعي الانحلال، وفي هذا المعنى يقول المقدسي: "وكل بلد على بحر أو نهر فالزنا واللواطة فيه كثير مثل سيراف وبخارى وعدن"(٦٠). بالإضافة إلى أن مظاهر الترف والخلاعة واختلاط الأجناس وكثرة الوافدين على المدينة من أهل النحل والأديان والأفكار الأخرى يجعل عرضة للفساد والمفسدين.

١ ـ ٣ ـ ٢ ـ الشعر الفارسي:

حين أشرق نور الإسلام على بلاد فارس، واتصل العرب بالفرس اتصالا أعقب آثارا شتى في النُّظم والعادات والتقاليد، والعقائد واللغة والثقافة، استبان أن العرب أخذوا من الفرس كثيرا، وأعطوهم كثيرا، وليس يعيب العرب أنّهم نقلوا، ولا ينتقص من الفرس أنّهم أخذوا، فإن الأمم كانت ولا تزال تتبادل النظم والثقافات كما تتبادل السلع والخبرات، بل إن المعرفة تنتقل بسلطانها الذاتي من صُقع إلى صُقع، ومن أمة إلى أخرى، كما تنتقل السحائب والرياح لا تصدها عوائق ولا تردها حواجز.

ويمكن أن نركز في حديثنا عن الشعر الفارسي إلى القول بأن الوشائج التي استوثقت بين الشعرين العربي والفارسي في هذه الفترة لكافية أن تستوقف الباحث عند مقاطعها، فشعراء الفرس أنشأوا عروضهم محاكيا للعروض العربي في دوائره وبحوره ومصطلحاته، وإن آثروا بعض الأوزان العربية، لأنها أكثر طواعية من لغتهم، وأقرب إلى طباعهم، وزادوا على بعضها الآخر، ونقصوا منه، ولكن بعض التغيير في بعض الأوزان لا ينفي أن الشعر الفارسي قائم على أوزان عربية.

ونستطيع أن نلخص التعديل الذي أدخله الفرس على الأوزان العربية وعلى القافية في عدة أمور:

١ ـ أضافوا إلى البحور الستة عشر المعروفة في الشعر العربي ثلاثة أبحر سموها الغريب والقريب والمشاكل.

٢ ـ أطالوا بعض الأوزان، فأجازوا في بحر الرمل ـ وهو في العروض العربي ستة أجزاء أو أقل ـ أن يكون من ثمانية أجزاء.

٣ ـ تصرفوا في بعض الزحافات والعلل تصرفا أدى إلى توليد أضرب مستقلة عن الأوزان العربية. كما نجد في الرباعي.

٤ ـ لم ينظموا إلا قليلا في بعض البحور العربية التي أكثر منها العرب كالطويل والكامل والمديد والوافر والبسيط. وأكثروا من النظم على البحور التي قلّل منها العرب، كالمجتث والمضارع والمقتضب. وهناك بحور أكثر منها الفرس والعرب على السواء كالهزج والرمل والخفيف والمتقارب.

٥ ـ أما القافية فقد حاكوا العرب فيها، ونقلوا عنهم مصطلحاتها، إلا أنّهم أكثروا من القافية المزدوجة وسموها المثنوي (٦١)،. وأكثروا من الدوبيت (٦٢). أي الرباعي، وخالفوا نظام الموشحات العربية وسموها بند.

٦ ـ التزموا القافية في القصيدة كلها أوفى مقاطع منها(٦٣).

١-٣-٣- النثر العربي:

مع عصر الدويلات المستقلة في إقليم المشرق شهد النثر تطورا ملحوظا على غرار تطوره في البلاد العربية. ويمكن أن نعرف النثر بأنه: الأسلوب المتبع في التعبير، ويكون النثر لغة مكتوبة أو منطوقة، منطويا على معنى، وخاضعا لأصول اللغة، كما يرتفع النثر إلى ما فوق مستوى التأليف العادي، باستخدامه السجع والجناس والطباق.

ويصنف النثر إلى صنفين: النثر الفني، والنثر الأدبي والتأليفي.

ويقصد بالنثر الفني: ما يرتفع به أصحابه من لغة الحديث العادية، ولغة العلم الجافة، إلى لغة فيها فن ومهارة وروية، ويوفرون له ضروبا من التنسيق والزخرف، فيختارون ألفاظه وينسقون جمله(٦٤).

وهو يشمل الخطابة، والرسائل الديوانية، والتوقيعات، والإخوانيات، والقصص والمقامات. أما النثر التأليفي فهو "أسلوب من نثر الكتابة، يصور المعاني الذهنية، متأثرة بعواطف الكاتب، ومن أهم خصائصه الفكرة الجيدة المتأثرة بالتجربة الذاتية، والممتزجة بالعاطفة، وغايته نقل الحقائق في أسلوب جميل رائع قصد الإفادة والتأثير معا، وأظهر مميزاته الجمال، ومنشأ جماله ما فيه من خيال بديع، وتصوير دقيق، وكلمات توحي وتؤثر"(٦٥).

ونحن نعني بالنثر التأليفي هنا هو تأليف كتب أدب بمفهوم القرن الثالث والرابع الهجريين لكلمة أدب. فقد كان الأدب آنذاك يقصد به الثقافة العربية الخالصة التي يستهدف بها التأديب ككتاب "الكامل" للمبرد، و"الأمال"ي لأبي عالي القالي، و"الأغان"ي للأصفهاني، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي.

وقد ارتقى النثر العربي في العصر الساماني والغزنوي ، كما ارتقى الشعر، واضطلع العلماء بالتأليف. وإن كان بعض المؤلفات قد فقد بمرور الزمان، على أن جزءا منها حفظ من الضياع.

وقد وجدت في هذا العصر مؤلفات لها شأنها في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. وفي معظم فروع العلم، ومن أمثلة ذلك:

"رسائل الأمير قابوس في الفلسفة"، وكتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للجرجاني (ت٣٩٢هـ) في النقد، ورسائل الأدباء والبلغاء المجموعة ككتاب "آداب المسافرين" لأبي عمر السجستاني النوقاني (ت ٣٨٢هـ)، وكتب السيرة والسنة ككتب أبي العباس الحسن بن سفيان النسائي (ت٣٠٣هـ)، والكتب الخاصة بتقاليد أهل المهن ككتاب "أدب القضاة" لأبي العباس الطبري (ت٣٢٥هـ).

كما أن الأديب أبو غسان التميمة ألف كتاب "أدب النفس" في الأخلاق للأمير نصر بن أحمد.

ويذكر في هذا المجال: النثر الصوفي الفلسفي بشطريه الشرعي والبدعي. مثل كتابات سهل ابن عبد الله التستري، وأبي يزيد البسطامي، وهي من النثر العلمي المتأدب(٦٦).

وأبرز ما يمثل النثر في هذا العهد، القصص والحكايات الأدبية، وخير مثال لها: المقامات، "والراجح أن هذه الكلمة اسم مكان من (أقام)، والمعنى أنها موضع للإقامة، ثم النقل من هذا المعنى إلى الكلام الذي يملأ به المجلس فتكون من إطلاق المحل على الحال، وقد صارت المقامة تطلق ويراد بها تلك الجملة من القول المروية على لسان امرئ خيالي، يحكي قصة لإنسان آخر أو أكثر تخيلهم الكاتب، ويضع على ألسنتهم عبارات يتصفح فيها ما شاء"(٦٧).

تصاغ المقامة في قصة أنيقة الأسلوب تشتمل على عظة أو ملحة ويكون فيها من الأناقة اللفظية و الروعة البيانية، و المفردات اللغوية، والتأليف الذي يدل على احتفال الكاتب واهتمامه، وكدّه وعنائه، وقصده إلى تخيّر اللفظ واحتشاد الخيال، وطنين العبارات، وسبك الأسلوب، وصياغة الكلام(٦٨).

ويرى البعض أن الكتابة القصصية أو المقامات كانت مظهرا من مظاهر تدارك الخطر المحدق بالكتابة، والضعف الذي كان موشكا أن يأتي عليها، أراد بها أصحابها أن يشتغل الناس من جديد بالأدب وأن يلتفتوا إليه التفاتا جادا. وأن يسلكوا سبيله سلوكا صحيحا"(٦٩).

وقد نشأ هذا النوع من القصص في أواسط الدولة العباسية وهو عهد الترف الأدبي والإنشاء الصناعي الأنيق. وقد أجاده بديع الزمان الهمذاني إجادة أحلّته منه محلّ الزعيم(٧٠). وهو أول من وضع القصص والروايات الأدبية في النثر العربي المسجوع وابتكر فن المقامة في تاريخ الأدب الإسلامي ونسج الحريري مقاماته على منوالها

قصد بديع الزمان نيسابور سنة (٣٨٢هـ)، وبها أملى أربعمائة مقامة، والبطل فيها يتمثل في شخصية "أبي الفتح السكندري" أما دور الراوية فيقوم بأدائه

"عيسى بن هشام" وهاتان الشخصيتان من خلق بديع الزمان وإبداعه، فلم يسمع بهما من قبل، ولم يرد ذكرهما في أي كتاب سابق على مقامات بديع الزمان، وقد صور البديع بطله في صورة أديب بارع ومحتال ذكي يجيد تصّوير حالة العجز والمغبة التي يعيش فيها، مما يجعله يستدر عطف مخدوعيه فيظفر منهم بالعطاء والنوال. ولا يرد خائبا مطلقا، وكان من أهم ما تميزت به مقامات بديع الزمان ذلك الحوار الممتع الذي أداره البديع بين شخصية البطل وشخصية الراوية،.. ولكي يُنجح بطله في خداع الناس ،كان ينمق أسلوبه ويقويه بالأشعار وعلى هذا جاءت معظم المقامات خليطا من نثر مسجع وشعر مصنع، كما كان البديع يدعمها بالحكم والأمثال وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، رغبة منه في إظهار تفوقه في مجال الإنشاء والنظم حتى ولو تضمنت بعض المقامات قلة من غريب اللفظ أملا في توفر صناعة السجع ولو على حساب استقامة المعنى ووضوحه(٧١).

كما تطور النثر تطورا جديدا عماده الإطناب وبسط الأسلوب والموسوعية عند أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ. وهو من أظهر الشخصيات في عصره، حتى وصفه ابن بسام بقوله: "كان في وقته راعي تلعات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، ورأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم أقرانه، سار ذكره سير المثل، وضربت إليه آباط الإبل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب، طلوع النجم في الغياهب"(٧٢).

وقد شُغل الثعالبي بتدوين الفنون الأدبية واللغوية، فقدم لأهل عصره ولقراء اللغة العربية في مختلف الممالك وعلى اختلاف الأجيال غذاء قويا للعقول والمشاعر والأذواق، ووضع أمام قرائه صُورا مختلفة للقرائح والعبقريات والتي عرفها بنفسه أو سمع بأخبارها أو قرأ آثارها، حتى ليمكن الحكم بأن القرن الرابع كان يُمحى أو يكاد لو لم يظفر بذلك الحافظ الأمين(٧٣).

١ ـ ٣ ـ ٤ ـ النثر الفارسي:

بدأ النثر الفارسي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وتصدر للإنشاء الفارسي كُتّاب وأدباء حذقوا اللغتين ـ العربية والفارسية ـ فمنهم من ألف باللغة الفارسية أصلا، ومنهم من نقل بعض كتب العربية إلى الفارسية أو ترجم من الفارسية إلى اللغة العربية وهذا مظهر من مظاهر التسامح والتعايش الإسلامي الذي كانت تحياه كل العرقيات والإثنيات داخل المجتمع الإسلامي الموحد.

ومن أدباء العصر ومنشئيهم نجد: "أبو علي محمد البلعمي وزير عبد الملك بن نوح(٣٤٣هـ ٣٥٠هـ) ومنصور ابن نوح (٣٥٠هـ ـ ٣٦٦هـ) قد نقل تاريخ الطبري إلى الفارسية بأمر من الأمير منصور. ويُعد هذا الكتاب من أمثلة النثر المطلق الخالي من الصنعة والتكلف وهو نموذج لطريقة الكتابة في عصره"(٧٤).

كما ألّف الأمير أبو الحسن محمد بن إبراهيم السيمجوري (أحد قادة السامانيين (ت٣٨٧هـ) و "كان من الحكماء ذوي الألباب، لفطنته وممارسته الأمر بيده ولسانه وقلمه وسيفه"(٧٥). كتابا بالفارسية في آداب الملوك وسياسة الرعية، ذكر منه الثعالبي: "ينبغي للملك أن يبني أمره مع عدوه على أربعة أوجه: اللين، والبذل، والمكاشفة، والكيد"(٧٦).

ومن الكتب النثرية المشهورة في ذلك العصر كتاب "ترجمة تفسير الطبري"وقد قام بترجمته نخبة من علماء بلاد ما وراء النهر، بأمر الأمير منصور بن نوح. ثم كتاب آخر يعرف بكتاب "الأبنية عن حقائق الأدوية" تصنيف أبي منصور الموفق الهروي الذي ألفه خلال عام (٣٦٢هـ)، وهو في أسماء الأدوية المختلفة، وخواصها، والعلاج بها(٧٧).

ومن ألوان الكتابات النثرية "الشاهنامات"التي شاعت في هذا العصر. منها شاهنامة أبي المؤيد البلخي الذي ترجم تاريخ الطبري للفارسية، ووضع كتاب "عجائب البلدان" بين عامي ٣٦٦هـ و٣٨٧هـ. كما وضع في أواخر القرن الرابع الهجري ـ فيما يبدو ـ كتاب "مرزبان نامه"باللغة الطبرية (لغة أهل طبرستان) وضعه مؤلف مجهول مرزبان ابن رستم بن شهريار في الأمثال والحكم، على نمط كليلة ودمنة، وبأسلوبه الحواري على ألسنة الحيوانات والطيور والجان(٧٨).

ويتضح أن النثر العربي أثّر في نشوء النثر الفارسي في ثلاثة اتجاهات رئيسية:

١ ـ إحياء أمجاد الفرس القديمة، ويتمثل بالشاهنامات.
٢ ـ نقل الكتب العربية إلى الفارسية.
٣ ـ البدء بالتأليف(٧٩).

وقد صنف الأستاذ إحسان ذنون اتجاهات الكتابة النثرية الفنية زمن

السامانيين إلى ما يلي(٨٠):

١. اتجاه موضوعي غلب عليه الاهتمام بالمعنى الذي يقصده، وتمثله الكتابات التاريخية والجغرافية والعلمية.
٢. اتجاه فكري ينزع إلى مخاطبة العقل، وتمثله كتابات المتكلمين.
٣. اتجاه لغوي يعتني بالألفاظ ويوليها اهتمامه، وتمثله الكتابات اللغوية وخاصة المقامات.
٤. اتجاه أدبي يترسل بإحكام. كي لا تفهم منه كلمة على غير مقصدها، وتمثله الرسائل السلطانية.
٥. اتجاه وجداني يفيض بالعاطفة والإحساس، وتمثله الرسائل الإخوانية.
٦. اتجاه حكمي (من الحكمة) يراد منه إيصال معلومة قصيرة سريعة تختزل فكرة كبيرة وتمثله الأمثال والحكايات.

أما العصر الغزنوي فكان عصر النهضة الكبيرة للنثر الفارسي وذلك نظرا لكون الغزنويين أرادوا أن يكون عهدهم عهد الانبعاث الفكري الفارسي. وأصبحت الفارسية لغة الدولة الرسمية. ومع استبحار العلوم والفنون فإن النثر تطور في العصر الغزنوي على يد طائفة من العلماء الذين طوّعوا النثر لأعقد مشاكل العلم، ليستوعب أدقّ فروعه من فلك ورياضة وجغرافيا وغيرها. وظهر ما يسمى بالنثر العلمي الذي يمتزج فيه الأسلوب بالمنهج.

وأهم ناثر علمي في هذا العصر هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ. الذي قضى الشطر الأول من حياته في رعاية أمراء خوارزم أو خيوة في دولة آل عراق التي يكشف في شعره عن إكرامها له ومحبته لها.

فآل عراق قد غذوني بدرهم
ومنصور منهم قد تولى غراسيا

وقد أنفق عليه بلاط هذه الأسرة لمواصلة بحوثه العلمية وتجاربه في الرصد إنفاقا مكنه من الابتكار. إلى أن فاجأته الحرب التي شنها مأمون بن محمد صاحب كركانج (٨١). على آل عراق في رمضان سنة ٣٥٨هـ، وهو يقوم على تجاربه العلمية بقرية من قرى (كاث). فساد الاضطراب وعمت الفتن وسقطت أسرة آل عراق، وبذلك فقد البيروني سندا كان يعتمد عليه في تفرغه لبحوثه فتوقف نشاطه ولم يعرف الاستقرار بعدها بضع سنين، مما اضطره أخيرا أن يخرج منفيًا عن وطنه قاصدا جرجان((٨٢). وهناك اتصل بقابوس بن وشمكير (شمس المعالي) صاحب (جرجان وطبرستان) وفي بلاط قابوس وجد البيروني ضالته. من الرعاية والفضل مما مكنّه في تلك الأجواء العلمية التي وفرها قابوس للعلماء في مملكته أن يؤلف كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" والذي يعتبر من أروع ما ألف بالعربية في العلوم الإنسانية وقدمه لمولاه شمس المعالي وشمكير مُعْرباً عن محبته له وتعلقه به وبفضائله(٨٣). وقد اعتاد المسلمون تسمية البيروني بالشيخ الأستاذ.

وللبيروني مؤلفات تصل إلى ثمانين ومائة، وهي بين موجود و مفقود تعطي فكرة عن الجهد الكبير الذي بذله في التأليف، وتكشف عن الأبعاد الفكرية التي امتاز بها. (٨٤) نذكر منها:

- رسالة في الإسطرلاب.
- استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الإسطرلاب.
- استزاج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحى منها، هي مسائل هندسية وله فيها طرق خصوصية.
- رسالة في راشيكات الهند.
- مبعث في مبادئ العلوم ألفه بالفارسية.
- كتاب" الجماهر في معرفة الجواهر". ألفه للملك المعظم أبي الفتح مودود بن مسعود الغزنوي، بدأه بترويحات عن النفس تكلم فيها على مسائل من العلم تروق المطالع وتروضه، ثم تكلم على ما عرف من الجواهر في عهده، وعرض لمعادنها وخواصها و الغريب منها، ولما ورد في أشعار العرب من ذكرها.

الهوامش

(١) - شكري فيصل. المجتمعات الإسلامية في القرن الأول. ط٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م. ص ٢١٨.

(٢) - عبد العزيز الدوري. الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب. ندوة مركز دراسات الوحدة العربية. ص ٦١.

(٣) - النرشخي. أبو بكر محمد بن جعفر (ت٣٤٨هـ). تاريخ بخارى. تعريب: عبد المجيد بدوي، وتصر الله مبشر الطرازي، ط٣، القاهرة: دار المعارف، (د.ت). ص ٧٨.

(٤) - المصدر نفسه.

(٥) ـ دولتشاه. تذكرة الشعراء. ص ٣٥. نقلا عن. الثامري، إحسان ذنون. الحياة العلمية زمن السامانيين. كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠م، طبعت. ذنون. الحياة العلمية ... مرجع سابق. ص ١٠٧.

(٦) ـ السمعاني. أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ).الأنساب. ط١، بيروت: دار الجنان، ١٩٨٨م. ج٥ / ص١٧٠.

(٧) ـ ذنون. الحياة العلمية.. مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٨) ـ مردانوف. ازدواجية اللغة. ص ٢٢٣. نقلا عن ذنون، المرجع السابق. ص ١١٠ ـ ١١١.

(٩) ـ ق. بارتولد. تاريخ الحضارة الإسلامية. ترجمة حمزة طاهر. ط٥، القاهرة: دار المعارف، (د. ت). ص٦.

(١٠) ـ جلال الدين همائي. تاريخ أدبيات إيران. ج٢ / ٢٧١ ـ ٢٧٤، نقلا عن إحسان صادق سعيد. علوم البلاغة عند العرب والفرس. (دراسة مقارنة). ط١، دمشق: منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، ٢٠٠٠م.ص١٩.

(١١) ـ طه ندا. الأدب المقارن. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٥م. ص ٤٥ ـ ٤٦.

(١٢) ـ في اصطلاح علم البديع هي أن يكتب المصراع الأول أو البيت كله بالفارسية، ويكتب المصراع الآخر أو البيت كله بلغة أخرى (ويرجّح أن تكون اللغة الأخرى عربية).

(١٣) – لحن الرجل في كلامه: أي أخطأ.والتلحين: التخطئة. واللحن بفتح الحاء: الفطنة. انظر: ابن منظور. لسان العرب. مادة "لحن".

(١٤) ـ الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ). البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، (د.ت). ج٢ / ص ٢٠٤، ابن قتيبة الدينوري. عيون الأخبار. بيروت: دار الكتاب العربي، (د. ت). ج٢ / ص١٥٨ ـ ١٦٧.

(١٥) ـ المصدر نفسه. ج١ / ص ٧٢، ج٢ / ص ٢٠٤.

(١٦) ـ شوقي ضيف. المدارس النحوية. ط٥، القاهرة: دار المعارف. (د. ت). ص ١٢.

(١٧) ـ أحمد أمين. فجر الإسلام. ط١٠، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م. ص ١٨٣.

(١٨) ـ خديجة الحديثي. موسوعة حضارة العراق. بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م. ج٧ / ص ٢١٥.

(١٩) ـ ابن خلدون. عبد الرحمن . المقدمة. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢م. ص ٥٦٥.

(٢٠) ـ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٢٦٧هـ). صورة الأرض. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت)، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

(٢١) ـ صنف مؤرخو الإنتاج العلمي والحضاري علماء اللغة مرة في اللغويين، وثانية في النحويين، وثالثة في الأدباء، ورابعة في الأصوليين، وهذا يدل على شمولية العلم لدى علماء المسلمين في تلك الفترة لدرجة أن بعضهم جمع بين العلوم الشرعية والعلوم البحتة (التطبيقية) مع بروز التخصص في فرع من فروع العلوم. انظر: رشاد معتوق. الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي. مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة، ١٩٩٧م. ص ٣٢٩.

(٢٢) ـ الخطيب.البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ). تاريخ بغداد أو مدينة السلام. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م. ج١٠ / ص٧٢.

(٢٣)–أبو منصور الأزهري. تهذيب اللغة.القاهرة:دار القومية العربية،١٩٦٤م.ج١/ص٢٤،وانظر:القفطي.إنباه الرواه.ج٢/ص١٢٧.

(٢٤) ـ القفطي. إنباه الرواه. ج٢ / ص١٤٩، ابن حجر. أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). تهذيب التهذيب. ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤م،ج٦ / ص٢٢.

(٢٥) ـ القفطي. إنباه الرواه. ج٣ / ص٢٧٥، السيوطي.، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.٢ / ص٢٨٨.

(٢٦) ـ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ). تهذيب اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: دار القومية العربية، ١٩٦٤م.ج١ / ص ٢٦.

(٢٧) ـ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت٦٦٨هـ). عيون الأطباء في طبقات الأطباء. ط٣، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨١م. ج٢ / ص١٩١ ـ ١٩٣.

(٢٨) ـ انظر: الثعالبي. مقدمة كتاب فقه اللغة وسر العربية. تحقيق فائز محمد، إميل يعقوب، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٩٩م،ص٥، زكي مبارك. النثر الفني في القرن الرابع الهجري. بيروت: المكتبة العصرية، (د.ت). ج٢ / ص٢٣٠.

(٢٩) ـ عبد الباري. محمد الطاهر. الطاهر. خراسان وما وراء النهر بلاد أضاءت العالم بالإسلام. ط١، (د.م)، ١٩٩٤م، ص ٣٥٤.

(٣٠) ـ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق الوراق (ت٣٨٠هـ). الفهرست. ط٢، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م. ص١٥٠.

(٣١) ـ الجاحظ. . الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م، ج١ / ص٩١ـ ٩٢.

(٣٢)- الخطيب.تاريخ بغداد.ج١٢/ ص٤٠٥،القفطي.إنباه الرواه.ج٢/ص٣٦-٤٣،ابن كثير.البداية والنهاية.ج١٠/ص ٢٩٣.

(٣٣) ـ ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن أبي عبد الله (ت٥٧٧هـ). نزهة الألباء في طبقات الأولياء. تحقيق: إبراهيم السامرائي، بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٥٩م. ص ٢٣٦، القفطي. إنباه الرواه. ج١ / ص٢٢٩، السيوطي. بغية الوعاة. ج١ / ص٤٤٦.

(٣٤)- سزكين، فؤاد. تاريخ التراث العربي. ترجمة: محمود فهمي حجازي، الرياض: إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، ١٩٨٣م. م١، ج١/ص٣٩٢-٣٩٧،٤١٥، بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. ترجمة: عبد الحليم النجار، ط٥، القاهرة: دار المعارف، (د.ت). ج٢ / ص٢٥٩.

(٣٥) ـ الأنباري. نزهة الألباء. ص ١٣٥ ـ ١٣٦، الأزهري. تهذيب اللغة. ج١ / ص ٢٥ ـ ٢٦، القفطي. إنباه الرواه. ج٢ / ص٧٧ ـ ٧٨.

(٣٦) ـ ابن منظور. لسان العرب. المقدمة.

(٣٧) ـ التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد (ت٤٠٠هـ). الإمتاع والمؤانسة. صحّحه وضبط غريبه: أحمد أمين، وأحمد الزين، بيروت: دار مكتبة الحياة. (د.ت).ج١ / ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٣٨) ـ النرشخي. تاريخ بخارى. ص ١٥.

(٣٩) ـ الثامري، إحسان ذنون عبد اللطيف. الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى في القرون الهجرية الأولى. ط١، إربد: مركز ناصر للخدمات الجامعية، ١٩٩٩م. ص ٣٨٨.

(٤٠) ـ المرجع نفسه.

(٤١) ـ السيوطي. بغية الوعاة. ج١ / ص٤٣٨.

(٤٢) ـ كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م. ج١ / ص٣٤٠.

(٤٣) ـ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج٤ / ص ٤٣٢

(٤٤) ـ المصدر نفسه. ج٤ / ص ١٥٠.

(٤٥)-انظر:الهادي حمودة الغزي.الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية. تونس:الدار التونسية للنشر،١٩٧٦م.ص١٢٧-١٩٦.

(٤٦) ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ). تاريخ الأمم والملوك. ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م. ج٥ / ص ١٠٥، ابن كثير. البداية والنهاية. ج١٠ / ص ٢٤٣، ابن النديم. الفهرست. ص ١٤٨.

(٤٧) ـ حيدر، محمد علي. الدويلات الإسلامية في المشرق. القاهرة: عالم الكتب، (د.ت). ص ١٩٤.

(٤٨) ـ انظر الجزء الرابع.

(٤٩) ـ ذنون. الحياة العلمية. مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٥٠) ـ يتيمة الدهر. ج٤ / ص ١٠٢.

(٥١) ـ طه ندا. بخارى. مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية، ع١٩، السنة ١٩٦٥م.ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٥٢) ـ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج٤ / ١٠٥.

(٥٣) ـالمصدر نفسه. ج٤ / ص ١١٦، طه ندا. بخارى. مرجع سابق، ص ٧٨.

(٥٤) ـ المصدر نفسه. ج٤ / ص ٣١١.

(٥٥) ـ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج٤ / ص ١٥٥.

(٥٦) ـ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج٤ / ص ٤٤٨.

(٥٧) ـ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج٤ / ص ٣٠٢.

(٥٨) ـ المصدر نفسه. ج٤ / ص ٢٨٥،وهبي، أديل. الحركة العلمية في نيسابور من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري. جامعة اليرموك، قسم التاريخ، ١٩٩٨م، (رسالة ماجستير). ص ١٦٣.

(٥٩) ـ طه ندا. بخارى.. مرجع سابق. ص ٨٨.

(٦٠) ـ أحسن التقاسيم. ص ٣٦.

(٦١) ـ المثنوي: نسبة إلى مثنى، أي يتفق كل شطرين في الروي، كما نجد في الشاهنامة.

(٦٢) ـ دوبيت: من أربعة أشطر تتفق في الروي في الأول والثاني والرابع، وينفرد الثالث غالبا وهو الذي انتقل إلى العربية باسم دوبيت.

(٦٣) ـ الحوفي، أحمد محمد. تيارات ثقافية بين العرب والفرس. ط٣، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر. (د.ت). ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٦٤) ـ حنا الفاخوري. تاريخ الأدب العربي. بيروت: المطبعة البوليسية، (د. ت). ص ٣١٦.

(٦٥) ـ أشرف محمد موسى. الكتابة العربية الأدبية والعلمية. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٨. ص ١٠٤.

(٦٦) ـ ذنون. الحياة العلمية ... مرجع سابق. ص ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٦٧) ـ إبراهيم أبو الخشب. تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني. القاهرة: دار الفكر، ١٩٧٥م. ص ٣٧٥، شوقي ضيف. المقامة. ط٤، القاهرة: دار المعارف (د. ت). ص ٦٦.

(٦٨) ـ إبراهيم أبو خشب. المرجع السابق. ص ٣٩٠.

(٦٩) ـ المرجع نفسه. ص ٣٧٥، ا ـ الزيات، أحمد حسن. تاريخ الأدب العربي. ط٢٨، بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٨م. ص ٤٥٨.

(٧٠) ـ الزيات. تاريخ الأدب العربي. مرجع سابق. ص ٤٥٨.

(٧١) ـ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج٤ / ص ٢٥٧، بديع محمد جمعة. دراسات في الأدب المقارن. ط٢، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م. ص ٢٣٩.

(٧٢) ـ ابن بسام. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق إحسان عباس، ط٢، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م، ـ القسم الرابع ـ مج٢، ص٥٦٠.

(٧٣) ـ مبارك، زكي. النثر الفني في القرن الرابع الهجري. بيروت: المكتبة العصرية، (د.ت). ج٢ / ص ٢١٩.

(٧٤) ـ رضا زاده. تاريخ الأدب الفارسي. مرجع سابق. ص ٣٥.

(٧٥) ـ السمعاني. الأنساب.ج٣/ص٣٦٣.

(٧٦) ـ الثعالبي. آداب الملوك. تحقيق جليل العطية. ط١، بيروت: دار المغرب الإسلامي، ١٩٩٠م. ص ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٧٧) ـ رضا زاده. تاريخ الأدب الفارسي. مرجع سابق. ص ٣٥ ـ ٣٦، أحمد محمد الحوفي. تيارات ثقافية بين العرب والفرس. مرجع سابق. ص ٢٧٩.

(٧٨) ـ ذنون. الحياة العلمية ... مرجع سابق. ص ١٨٤.

(٧٩) ـ المرجع نفسه.

(٨٠) ـ الحياة العلمية زمن السامانيين. مرجع سابق. ص ١٨٧.

(٨١) ـ كركانج: سماها العرب الجرجانية، وفي سنة ٦١٦هـ. وقبل الغزو المغولي لكركانج زارها ياقوت فقال عنها: " لا أعلم أني رأيت أعظم منها مدينة ولا أكثر أموالا وأحسن أحوالا" فاستحال ذلك كله بتخريب التتر إياها في سنة ٦١٧هـ. وهي مدينة عظيمة على شاطئ نهر جيحون.انظر: كي ليسترنج. بلدان الخلافة الشرقية. مرجع سابق. ص ٤٩١.

(٨٢) ـ البيروني. تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن. القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٦٢م. ص ١١٠.

(٨٣) ـ البيروني. الآثار الباقية. ص٣.

(٨٤) – Boilat.L œuvre D Alberuni. Essai Bibliographique De L institut Dominicain D'etudes Orientales.Le caire.١٩٥٥.